

ياليتنى

عندما كنتُ صغيراً كنتُ نعدُّ ابن الأربعين عجوزاً ، حتى إذا بلغنا الأربعين قلنا ذلك قَمَّةَ الشباب والنضج ، فأذا جزنا الأربعين إلى الخمسين نظرنا إلى الستين والسبعين أنها مرحلة يمكن بلوغها بصحة ابن الخمسين ، وكذلك ينظر ابن السبعين ذات النظرة إلى الثمانين ، وهكذا

فلا تعجب إذن حين ترى من بلغ الثمانين وجازها يلهث وراء الدنيا، فإنَّ له نظرةٍ سابقه عندما ينظر هو إلى من وصل المائة، وهذه هي الخصلة التي لا تشيب ولا تهرم في ابن آدم.

عن حماد بن سلمة عن حميد عن أبي عثمان النهدي قال :

قد بلغت ثلاثين ومائة سنة، فما منى من شيء إلا وقد عرفت فيه النقصان إلا أملى فإنه كما هو.

ولابد من الأمل ، فلو لا الأمل لم يكن عمل ، ولو لا الأمل ما تعايش الناس ولا تبايعوا ولا تناكحوا ، ولو لا الأمل لم يكن للدنيا طعم أو معنى ، ولو لا الأمل لتعطلت سنن التسخير ولاضطربت باقي السنن .

هذا هو الأمل الذي لا بد منه، والذي لا بد منه في هذا الأمل هو عدم تطويله والاعتكال على تأجيله، فذاك هو المحذور.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إن أشد ما أتخوَّف عليكم خصلتين ، إتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما إتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق ، وأما طول الأمل فالحب للدنيا

ثم قال صلى الله عليه وسلم: إن الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض، وإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان، أو كما قال صلى الله عليه وسلم

وكذلك قال الحسن البصري رحمه الله : من طال أمله ساء عمله ، والذي يعنيه الحسن ، تسويق العمل بتطويل الأمل ، أي عدم اغتنام الفرصة أو المسارعة بسبب أمله بأنه سيعيش وسوف يعمل سيفعل ، فيأتيه ما يقطع عليه (سينه وسوفه) منتقلاً به إلى ياليتنى قدّمت لحياتي ، ويا رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً ، وحينها لا ينفع عذر ولا ندامة .

ففيما روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم: أعذر الله إلى رجلٍ أجَّله حتى بلغ الستين.

فالمعنى ، أن الله قد سلب العذر من صاحب الستين حيناً يريد الاعتذار بياليتنى قدمت لحياتي ، وربِّ ارجعون ، لأن الله أمده من الأمل بستين سنة قد ضيَّعها بالتسويف والتأجيل وتضييع المبادرة بالعمل .

وعندما أقول ستين سنة لا تنتظر إليها بعدد السنين ، بل انظر كم تحوى السنة من أيام ، وحينها سيتحصل لك واحد وعشرون ألفاً وتسعمائة (٢١,٩٠٠) من الأيام ، في كل يوم منها أو ساعة مبادرة إلى طاعة أو توبة من معصية ، وحينها سترى عدله حين يسلب العذر من صاحب الستين ، وصاحب السبعين والثمانين أولى بالسلب ، ويا ويح من تعدَّأها

عن سلمان قال : ثلاث أعجبتني ثم أضحكنتي ، مؤمُّل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفولٍ عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ عنه